

## التحرير والتنوير

وجملة ( إن الحكم إلا أ ) في موضع التعليل لمضمون ( وما أغني عنكم من أ من شيء ) .  
والحكم : هنا بمعنى التصرف والتقدير ومعنى الحصر أنه لا يتم إلا ما أراده أ كما قال  
تعالى ( إن أ بالغ أمره ) . وليس للعبد أن ينازع مراد أ في نفس الأمر ولكن واجبه أن  
يتطلب الأمور من أسبابها لأن أ أمر بذلك وقد جمع هذين المعنيين قوله ( وادخلوا من أبواب  
متفرقة وما أغني عنكم من أ من شيء ) .

وجملة ( عليه توكلت وعليه فليتوكل المتوكلون ) في موضع البيان لجملة ( وما أغني عنكم  
من أ من شيء ) ليبين لهم أن وصيته بأخذ الأسباب مع التنبيه على الاعتماد على أ هو معنى  
التوكل الذي يضل في فهمه كثير من الناس اقتصارا وإنكارا . ولذلك أتى بجملة ( وعليه  
فليتوكل المتوكلون ) أمرا لهم ولغيرهم على معنى أنه واجب الحاضرين والغائبين وأن مقامه  
لا يختص بالصديقين بل هو واجب كل مؤمن كامل الإيمان لا يخلط إيمانه بأخطاء الجاهليات .  
( ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ما كان يغني عنهم من أ من شيء إلا حاجة في نفس يعقوب  
قضاها وإنه لذو علم لما علمناه ولكن أكثر الناس لا يعلمون [ 68 ] ) جملة معترضة .  
والواو اعتراضية .

ودلت ( حيث ) على الجهة أي لما دخلوا من الجهات التي أمرهم أبوهم بالدخول منها .  
فالجملة التي تضاف إليها ( حيث ) هي التي تبين المراد من الجهة .  
وقد أغنت جملة ( ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم ) عن جمل كثيرة وهي أنهم ارتحلوا  
ودخلوا من حيث أمرهم أبوهم ولما دخلوا من حيث أمرهم سلموا مما كان يخافه عليهم . وما  
كان دخولهم من حيث أمرهم يغني عنهم من أ من شيء لو قدر أ أن يحاط بهم بالكلام إيجاز .  
ومعنى ( ما كان يغني عنهم من أ من شيء ) أنه ما كان يرد عنهم قضاء أ لولا أن أ قدر  
سلامتهم .

" السلام عليه " يعقوب نفس في التي الحاجة لأن منقطع ( حاجة إلا ) قوله في والاستثناء A E  
ليست بعضا من الشيء المنفي إغناؤه عنهم من أ فالتقدير : لكن حاجة في نفس يعقوب " عليه  
السلام " قضاها .

والقضاء : الإنفاذ ومعنى قضاها أنفذهها . يقال : قضى حاجة لنفسه إذا أنفذ ما أضره في  
نفسه أي نصيحة لأبنائه أداها لهم ولم يدخرها عنهم ليطمئن قلبه بأنه لم يترك شيئا يظنه  
نافعا لهم إلا أبلغه إليهم .  
والحاجة : الأمر المرغوب فيه . سمي حاجة لأنه محتاج إليه فهي من التسمية باسم المصدر .

والحاجة التي في نفس يعقوب " عليه السلام " هي حرصه على تنبيههم للأخطار التي تعرض  
لأمثالهم في مثل هذه الرحلة إذا دخلوا من باب واحد . وتعليمهم الأخذ بالأسباب مع التوكل  
على الله .

وجملة ( وإنه لذو علم لما علمناه ) معترضة بين جملة ( ولما دخلوا من حيث أمرهم أبوهم  
( الخ وبين جملة ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) .

وهو ثناء على يعقوب " عليه السلام " بالعلم والتدبير وأن ما أسداه من النصح لهم هو من  
العلم الذي آتاه الله وهو من علم النبوة .

وقوله ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) استدراك نشأ عن جملة ( ولما دخلوا من حيث أمرهم  
أبوهم ) الخ . والمعنى أن الله أمر يعقوب " عليه السلام " بأخذ أسباب الاحتياط والنصيحة مع  
علمه بأن ذلك لا يغني عنهم من الله من شيء قدره لهم فإن مراد الله تعالى خفي عن الناس وقد  
أمر بسلوك الأسباب المعتادة . وعلم يعقوب " عليه السلام " ذلك ولكن أكثر الناس لا يعلمون  
تطلب الأمرين فيهملون أحدهما . فمنهم من يهمل معرفة أن الأسباب الظاهرية لا تدفع أمرا  
قدره الله وعلم أنه واقع ومنهم من يهمل الأسباب وهو لا يعلم أن الله أراد في بعض الأحوال عدم  
تأثيرها .

وقد دل قوله ( وإنه لذو علم لما علمناه ) بصريحه على أن يعقوب " عليه السلام " عمل  
بما علمه الله . ودل قوله ( ولكن أكثر الناس لا يعلمون ) بتعريضه على أن يعقوب " عليه  
السلام " من القليل من الناس الذين علموا مراعاة الأمرين ليتقرر الثناء على يعقوب " عليه  
السلام " باستفادة من الكلام مرتين : مرة بالصراحة ومرة بالاستدراك